اسم الأستاذ: أحلام العلمي

المقياس: نظرية الأدب

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

النوع: محاضرة

المجموعة: الثانية (الأفواج 5،6،7،8)

المحاضرة الثانية والثالثة: طبيعة ووظيفة الأدب

ان طبيعة الأدب ووظيفته لا تنفصلان ،وهذا لما تحمله الطبيعة من متعة والوظيفة من انتفاع ؛وهذا ما يجعلهما أيضا يتلازمان في أي نقاش ؛فاستعمال الشعر ينتج من طبيعته .وطبيعة الشيء تنتج من استعماله :فهو ما يفعله.يقول إدغار آلان بو: الشعر أداة التهذيب .بينما في عصر النهضة التقليدي قيل فيه بأن الشعر للمتعة والتعلم ،أو أنه يعلم من خلال المتعة ؛في حين مال تاريخ علم الجمال طرفا لهوراس الذي يقول ان الشعر عذب ومفيد مستندا في ذلك على أساس الوظيفة اكثر منه على أساس الطبيعة .قال أرسطو :ان الشعر ألصق بالفلسفة من التاريخ ما دام التاريخ "يروري أمورا حدثت، أما الشعر فيروي أمورا يمكن أن تحدث".

قيل أن نظرية الأدب تخلصنا من عناء الانفعالات ،لقد حرر غوته نفسه من آلام العالم بتأليفه "آلام فرتر" ليكون الأدب بذلك مظهرا ،وللشعر عدة وظائف ،أما وظيفته الأولى والرئيسية فهي أن يكون أمينا لطبيعته، وهذا ما يؤكد اختلاف وجهات النظر وعددها بين الحكم على طبيعة ووظيفة الأدب.

وبما أن الأدب هو رأس الفنون مهما اختلفت ألوانها وتعددت أنواعها ؛يبقى الأدب في شعره ونثره طليعتها في التفكير والتعبير؛ لأنه خلاصة ما يقوله الانسان بواسطة اللسان نطاق ملفوظا ومكتوبا،يفهمه الجاهل ،والمتعلم ،واذا كان الأدب يحمل هذه الصفات، فلأنه ينطوي على ألوان شتى من صنع الخيال تحاوره في الداخل موسيقاه المعنوية واللفظية بصور ملونة، وحركة اللفظة فيه والعبارة والأسلوب، هي أنساقه التي تدوزن فيه التعبئة التي يأمر بها العقل وتستجمعها الأفكار.فمثل هذا المنطلق الدلالي يتميز الأدب بذلك عن سائر الفنون".

وانطلاقا من هذا تعبر الموسيقى عن الجمال والفكر برموزها المجردة إلا من تعبيرها الذي لا يدركه إلا من امتلك معرفة بها . وأيضا الرسم الذي يتم التعبير عنه باللون وحركة النور والظلال وما شابه انه السكون الداخلي ،والصمت الذي لا تتحرك المشاعر لديه إلا بمعرفة قانونه المركب.

وإذا كانت الموسيقى تعتمد على إيقاعها النغمي ، والرسم على تركيبة اللون ،فلأنهما يحملان لغة مختلفة تماما عن لغة الأدب: الذي يحتوي النغم والإيقاع اللوني والتراكيب المرموزة الموصلة جيدا المحللة عبر الصوت والحركة ،، ما لا نجده إلا في فضاء الشعر أو النثر.

تعد وظيفة هذين الأخيرين وظيفة اجتماعيّة،دلالية،أدائية ؛وهذا حسب طبيعة المجتمع وما تؤديه ومن يقوم بها ،تنبعث من صور وألوان ودلالات انطلاقا مما يقدمه النص؛ تتجمع في كلام مؤثر يفتن القلوب فيجي فيها الأمل أو ينزل بها الى اليأس.دلالاته شيء من الاستمالة ،والاستمالة هي الإقناع أو الاستنكار ؛فالناس في حضور شاعر أو خطيب يستمعون وهم على هدوء ،واذابهم فينفلتون من عقولهم ويصفقون تلقائيا ، لأن شيئا سحريا نسج حركته بين وعواطفهم والفاظه ،جعلتهم ينفرجون ويخرجون عن صمتهم .ذلك هو الجزء السري الذي لم يعرفه التحليل في مظاهر الفنون الأخرى كما في النثر والشعر.إنها في الحقيقة شريعة الحياة كون الأدب نابع من السليقة.

ونفعيته هذه خلقت في تحليل النقد مواقف بين القبول والرفض في استخدام الأدب لها ،وقد يؤدي الانتفاع والمتعة معا الإفادة كما قال هوراس وأرسطو؛لتكون وظيفة الأدب أن يقول الحقيقة دون حياء ويقوله بطرق متعددة عن طريق الرمز والهمس ،أو العاطفة والاحساس في الشعر التمثيلي والمسرحي في الشعر الغنائي والوجداني في الشعر الملحمي والقصصي ويقوله بأسلوبه وطريقته الخاصة المميزة.